الاستعاذة تعريفها نصوصها انواعها و آثارها

الدكتور/ احمد بن عبدالله آل سرور الغامدى

Abstract

As we all know that loyality is necessary in the worship/ prayer of almighty Allah and to show loyality other than Allah is strictly prohibited in Islam, and we also know that asking for help is a part of worship/ prayer, thats why asking for help other than Allah is not allowed in Islam, and to beleive only on Allah. If anyone does, so it means that he made a partener of Allah. I noticed it is very common now a days that few things lead to this conditions. This conditions fulfills when we are afraid of some other source instead of Allah andf we ask for help too.

In the following article these circumstances are discussed in detail in the light of Holy Quran and Ahadees.

الاستعاذة تعريفها نصوصها انواعها وآثارها

الدكتور/ احمد بن عبدالله آل سرور الغامدى

الحمدلله الواحد الاحد، الحمدلله الذى بيده مقاليد السموات والارض، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، محمد بن عبدالله، الذى نصح الأمة، وكشف الله تعالى به الغمة، فصلى الله عليه وعلى آلهِ وصحبه الطيبين الطاهرين، ما تعاقب الليل والنهار، وما لجأ اليه الصالحون الأبرار، أما بعد:

فان الله تعالى كرم بنى آدم على سائر ما خلق، وشرع لهم من الطيبات والصالحات ما يتقربون اليه به، وحرم عليهم. رحمة بهم. كل ما يضرهم، فى دنيا هم وأخرهم، ومن أعظم ما يُتقرب به الى الله تعالى اخلاص العبودية له، وصدق التوكل عليه، والخوف والخشية منه، فان هذه العبادات وغيرها من أنواع العبادة لا تكون الا له تبارك وتعالى ولهذا جاء ت النصوص الشرعية تحذر من الشرك، وتبيّن حال المشركين وما وقعوا فيه، ليحذر المسلم، وليتجنب الوقوع فيه أو فى وسائله، ومما أخبر به تعالى عن المشركين، توكلهم وخوفهم وخشيتهم ولجوء هم واستعاذتهم بغيره جل جلاله، قال تعالى:

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقا ○ (الجن. ٦)

واذا تقرر وجوب اخلاص العبودية لله تعالى، فانه لا يجوز صرف أى نوع من أنواعها لغيره سبحانه وتعالى، ومن المعلوم أن الاستعاذة نوع من أنواع العبادة، فلا يُستعاذ الا بالله جلا جلاله، ولا يُتوكل الا عليه، فمن صرف شيئا من ذلك لغيره، فقد أشرك به مالم ينزل به سلطانا، وفى هذه الآونة وجدت بعض المظاهر الدالة على وجود مالا يجوز فعله فى هذا الباب، ومن ذلك اللجوء لغيره سبحانه، وسؤاله جلب النفع، ودفع الضر، ولهذا رأيت أهمية الكتابة عن الاستعاذة، ببيان معناها، وذكر نصوصها، وأحكامها، وأنواعها، وآثارها، فى وقت خفى على كثير من المسلمين فضلها وأهميتها، وظهر فى مجتمعاتهم ما يخالف حقيقتها، لهذا وللأسباب الآتية. وقع اختيارى للكتابة عنها.:

١. تحقيق القول فى مسألة الاستعاذة وبما تكون.

٢. ان كثيراً من الكتب التى تحدثت عن الاستعاذة، أو الموضوعات التى كتبت عنها، تذكر أن الاستعاذةَ بغير اللّه تعالى شركٌ، وهو كذلك، ولكنها لم تذكر التفصيل الذى دلت عليه النصوص الشرعية، لهذا رأيت أهمية الكتابة فى هذاالموضوع لبيان أنواع الاستعاذة.

٣. وجود بعض الأفعال التى تنافى التوكل، وصدق اللجوء الى الله تعالى، مثل: تعليق التعويذات على الأطفال، أو فى البيوت والسيارات، مع الاعتقاد أنها تدفع عنهم شر الشياطين، أو شر الحسد والعين، لهذا وجب التنبيه، وبيان أن الاستعاذة انما تكون بالله تعالى، ودفع الضر انما يكون بصدق اللجوء اليه، والتوكل عليه، والاستعاذة به.

٤. التنبيه والاشارة الى الطريق المشروع الذى غفل عنه كثير من الناس فى هذا الباب، من أجل حماية حمى التوحيد، والبعد عن الشروك ووسائله.

٥. انتشار بعض الأفكار بين الناس عن التعاويذ و آثارها، والعمل على الأخذ بها، وذلك عن طريق وسائل الاعلام، وفى بعض القصص والروايات.

٦. كثرة الدجالين فى هذا العصر الذين يتخذون من الشياطين أولياء، وقد يعينونهم على بعض الأمور فيفعلونها، أو يخبرونهم ببعض الأمور الغائبة ليكاشفون بها، وهم بهذا يظنون ثقة الناس فيهم، واتباعهم لهم. وقد يظن الجهلة أن هذه كرامات لهم، أو قوى يملكونها على غير ما اعتاده البشر.

والمقصود أن موضوع الاستعاذة من موضوعات العقيدة التى تحتاج الى دراسة؛ لأهميتها، وحاجة الناس اليها، ووقوع المخالفة فيها، ولهذا كانت هذه الاشارات المختصرة، التى بنيت على النصوص الشرعية ودلالتها، والله أسأل الاخلاص فى القول والعمل.

المبحث الأول: تعريفُ الاستعاذة:

الاستعاذة فى اللغة والاصطلاح: لغة: يقول 'ابن فارس'(١) (عوذ: العين، والواو. والذال أصل صحيح يدلُّ على معنى واحد، وهو الالتجاء الى الشيء، ثم يُحمل عليه كلُّ شيء لصق بشيء أو لازمه).(٢)

عوذ: (يقال: عاذ فلان بربه يعوذ عَوْذاً، اذا لجأ اليه واعتصم به..... وعاذ وتعوَّذو استعاذ بمعنى واحد..... واللّه جل و عز معاذُ من عاذ به، وملجأ من لجأ اليه، والملاذ مثل المعاذ• وقال عوذت فلاناً بالله وأسمائه، وبالمعوذتين من القرآن اذا قلت: أعيذك بكلمات الله وأسمائه من كل شر، وكل داءٍ وحاسدوعين).(٣) و (اسْتَعَذْتُ بالله و (عُذْتُ) به (مَعَاذًا) و (عِيَاذًا) اعتصمت و (تَعوذْت) به، و(عَوَّذْتُ) الصغير بالله).(٤).

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ تزوج امرأة من العرب فلما أُدْخِلَتْ عليه قالت: أعوذ بالله منك فقال لها: 'قد عُذتِ بِمَعَاذٍ'.(٥)

قال 'النووى' (٦): بمعَاذ بملجأ و مُستجار.(٧)

ويقول 'ابن منظور'(٨): عوذ (عاذ به يَعُوذُ عَوْذًا وعِياذًا ومَعاذًا: لاذبه ولجأ اليه واعتصم، و معاذَ اللّهِ أي عياذاً باللّه، قال اللّه عزوجل:

قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذاً لَّظَالِمُونَ (سورة يوسف : ٧٩).

أي نعوذباللّه معاذاً أن نأخذ غير الجاني بجنايته..... في الحديث: 'انما قالها تَعَوُّذاً(٩) (١٠).

والمقصود انما أقرَّ بالشهادة لاجناً اليها، ومعتصماًبها ليدفع عنه القتل، وليس بمخلص وصادق في اسلامه(١١). والعُوذةُ والمِعَاذَةُ والتَّعْوِيذُ: الرُّقية يُرْقى بها الانسان من فزع أو جنون؛ لأنه يعاذبها. قدعَوَّذَه؛ يقال: عَوَّذْت فلاناً باللّه وأسمائه وبالمِعَوِّذتين اذا قلت أُعيذك باللّه وأسمائه من كل ذي شر.

وأما التعاويذ التي تُكتب وتعلق على الانسان من العين فقد نهى عن تعليقها، وهي تسمى المِعَاذات أيضاً، يُعَوَّذ بها من علقت عليه من العين والفزع والجنون، وهي العُوذُ واحدتها عُوذَةٌ(١٢).

والعرب تقول لكل أنثى اذا وضعت: عائذ. وتكون كذا سبعة أيام، والجمع عُوذ، وانما سميت كذلك، لملازمة ولدها لها، أو ملازمتها اياه.(١٣)

ويظهر من هذه الأقوال المذكورة في كتب اللغة أن الاستعاذة تعني الالتجاء والاعتصام، و أن الالتجاء الى الآخرين يطلق عليه استعاذة، وهذا فيه دلالة على أنه يسوغ عندهم أن تكون الاستعاذة بالمخلوق في جانبها اللغوي، ويقصد بالمعاذ: الملجأ الذي يلوذ به الانسانُ، وفي التاج: (والعَوَذُ بالتحريك: الملجأ..... يقال فلان عَوذٌ لك: أي ملجأٌ)(١٤).

أما تعريف الاستعاذة فى الاصطلاح فقد عُرفت بأكثر من تعريف، غير أنها ذات مدلول واحد في الغالب، ومدارها كلها على أن الاستعاذة هي: الالتجاء الى اللّه تعالى، والاعتصام به، والهروب اليه، مما يخشاه الانسان.

ومن التعريفات الواردة فيها، ما ذكره الامام 'ابن القيم'(١٥) أن (حقيقة معناها: الهروب من شيء تخافة الى من يعصمك منه، ولهذا يسمَّى المستعاذ به:

معاذاً، كما يسمى ملجأ ووزراً) (١٦). وبقريب من هذا عرفها بعض العلماء المتأخرين.(١٧)

ويعرفها الامام 'ابن كثير' (١٨) بقوله: (الالتجاء الى اللّه تعالى والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير) (١٩). وبقريب من هذا عرفها بعض العلماء المتأخرين.(٢٠)

ومعنى 'أعوذُ' ألتجئ وأعتصم وأتحرز، وفي أصله قولان، أحدهما: أنه مأخوذ من الستر. والثاني: أنه مأخوذمن لزوم المجاورة(٢١) يقول 'ابن قيم': (والقولان حق، والاستعاذة تنتظمهما معاً، فان المستعيذ مستتر بمَعَاذه متمسك به معتصم به، قد استمسك قلبه به ولزمه، كما يلزم الولد أباه اذا شَهر عدوه سيفاً وقصده به، فهرب منه فعرض له أبوه في طريق هربه، فانه يُلقي نفسه عليه ويستمسك به أعظم استمساك، فكذلك العائذ.

قد هرب من عدوه الذي يبغي هلاكه الى ربه ومالكه، وفر اليه والقى نفسه بين يديه، واعتصم به واستجار به والتجأ اليه).(٢٢).

فهي: الالتجاء والاعتصام والاستجارة، فمعنى أعوذ باللّٰه: أي ألتجئ الى رحمته وعصمته.(٢١)

المبحث الثاني: بعض نصوص الاستعاذة.

وردت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية بذكر الاستعاذة، ومن هذه النصوص تتبيّن الصيغ التي وردت بها، وبم تكون الاستعاذة، ومما تكون، وليس من مقصود هذه الدراسة استقصاء نصوصها. خاصة من السنة النبوية الشريفة. بل ضرب الأمثلة، لتُبنى مباحث هذه الدراسة عليها.

أولا: من القرآن العظيم:

- قال تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ (سورة النحل ٩٨)
- وقال تعالى: إِنَّ الَّذِيْنَ يُجَادِلُونَ فِيْ آيَاتِ اللّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِيْ صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيْهِ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ (سورة غافر ٥٦)
- وقال جل وعلا: وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْم (سورة فصلت ٣٦)
- وقال تعالى: وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ط قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً ط قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِيْن (سورة البقرة ٦٧)
- وقال جل و علا: قَالَ رَبِّ إِنِّيْ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِيْ بِهِ عِلْمٌ وَ إِلَّا تَغْفِرْ لِيْ وَتَرْحَمْنِيْ أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِيْن (سورة هود ٤٧)
- وقال تعالى: قَالَتْ إِنِّيْ أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّا (سورة مريم ١٨)
- وقال تعالى: وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِيْن (سورة المؤمنون ٩٧)

- وقال تبارک وتعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (سورةالفلق ١)
- وقال سبحانه وتعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس (سورة الناس ١)
- وقال جل وعلا: وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ط قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (سورة يوسف ٢٣)
- وقال جل جلاله: قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذاً لَّظَالِمُون (سورة يوسف ٧٩)

و اذا تأملنا الآيات الكريمة فانها جاء ت بلفظ: استعذ، وأعوذ، ومعاذ. وأما المِستعاذُبه، فباللّٰه تعالى، أو بصفاته و أسمائه الحسنى.

ثانياً: من السنة النبوية:

مما لاريب فيه أن رسول اللّٰه ﷺ بيّن لأمته كل خير، وحذرها من كل شر، وتركها على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها الاهالک، وقد قام ﷺ بما أمره به ربه جل وعلا خير قيام، فحمى حمى التوحيد، وحذر أمته من الشرک ووسائله، لكي يسلم لهم توحيدهم، ويستقيم لهم أم دينهم، حتى لا تحبط أعمالهم، فيخسرون دنياهم وأخراهم، ودلهم على طرق مقاومة الشيطان ووسوسته، ومن ذلک صدق التوكل على ربهم، والرغبة اليه، والرهبة والخوف منه، والاستعانة والاستعاذة به، لتحصيل المطلوب، ودفع المكروه، وحث ﷺ على الاستعاذة، وبيّن المواطن التى تقال فيها أو عندها، كمابيّن لنا الأمور التى يُستعاذ باللّٰه تعالى منها، سواء من أمور الدنيا أم من أمور الآخرة، ويظهر ذلک في الاستعاذات التي علم رسول ﷺ أمته قولها في كل أحيانهم، حال استيقاظهم وعند منامهم، وعند أكلهم وشربهم، وحين قضاء حوائجهم، وفي حال اقامتهم وضعنهم، كما دلنا ﷺ كثير من الدعاء المتضمن للاستعاذة بطريق الاجمال من كل سوء، سواء حال حياتنا، أم الاستعاذة مما هو بعد مماتنا، ولهذا فان حصر ما جاء في السنة المطهرة، حول هذه المسألة، في مثل هذه الأبحاث المختصرة، يكاد يكون متعذرا، حتى لا تخرج الدراسة عن مقصودها، والا فكتب السنة مليئة بذلک.

والمقصود أن الاستعاذات التي علمنا اياها رسول ﷺ كانت جامعة لدفع الشرور كلها سواء في دار الدنيا أم دارالآخرة، وهذا أصل في نوعية الاستعاذات النبوية، وهذه الأمثلة التي سأ ذكرها توضح ذلک وتدل عليه، ومنها:

أولاً: الاستعاذة بالله تعالى من الفتن بعموم.

ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، وفيه أن رسول الله ﷺ قال لهم: 'تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قالوا: نعوذ بالله من الفن ما ظهر منها وما بطن.....' (٢٤)

وهذه الاستعاذة تدل على ما جهر به، وما أسره وقيل: ما يجري على ظاهر الانسان وما يكون في القلب من الشرك، والرياء، والحسد وغير ذلك من مذمومات الخواطر. (٢٥)-

ثانيا: الاستعاذة بالله تعالى من الشرك.

ومن ذلك ماروته عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ وهو يعلمها جُمَل الدعاء و جوامعه وفيه: 'وأعوذبک من الشرک عاجله و آجله، ما علمت منه ومالم أعلم.....(٢٦)

ثالثا: الاستعاذة بالله من صنوف العذاب وفتن الدنيا والآخرة.

ومما جاء في ذلک، من حديث أنس رضي الله عنه: 'وأعوذُبک من عذاب القبر، وأعوذبک من فتنة المحيا والممات'.(٢٧).

ومن حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه: قال: كان النبي ﷺ يُعلمنا هؤلاء الكلمات، كما تُعلّمُ الكتابةُ، وفيه: 'وأعوذبک من فتنة الدنيا'. (٢٨)

ما رواه أبو هريره رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: 'عوذوا بالله من عذاب الله، عوذوا بالله من عذاب القبر، عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال، عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات'.(٢٩)

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الدعوات' اللهم فاني أعوذبک من فتنة النار و عذاب القبر و فتنة القبر و عذاب القبر، ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر، وأعوذبک من شر فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم فاني أعوذبک من الكسل، والهرم، المأثم والمغرم'.(٣٠).

يقول النووي: (وأما الكسل فهو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع امكانه، وأما العجز فعدم القدرة عليه، وقيل هو ترک ما يجب فعله والتسويف به، وكلاهما تستحب الاعاذة منه..... وأما استعاذته صلى الله عليه وسلم من الهرم فالمراد به الاستعاذة.

من الرد الى ارذل العمر..... وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط والفهم، وتشويه بعض المنظر، والعجز عن كثير من الطاعات، والتساهل في بعضها، وأما استعاذة صلى الله عليه وسلم من المغرم وهو الدين، فقد فسره صلى الله عليه وسلم في الأحاديث السابقة في كتاب الصلاة 'أن الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف'(٣١)؛ ولأنه قد يمطل المدين صاحب الدين؛ ولأنه قد يشتغل به قلبه وربما مات قبل وفائه، فبقيت ذمته مرتهنة به، وأما استعاذة صلى الله عليه وسلم من الجبن والبخل، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات والقيام بحقوق الله تعالى، وازالة المنكر والاغلاظ على العصاة؛ ولأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال وينبعث للانفاق والجود ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطمع فيما ليس له، قال العلماء واستعاذة صلى الله عليه وسلم من هذه الأشياء، لتكمل صفاته في كل أحواله، شرعه أيضا تعليما، وفي هذه الأحاديث دليل لاستجاب الدعاء والاستعاذة من كل الأشياء المذكورة وما في معناها..... وفي هذه الأحاديث ذكر المأثم وهو الاثم، وفيها فتنة المحيا والممات أي فتنة الحياة والموت).(٣٢)

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: 'اللهم اني أعوذبك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال'.(٣٣).

وهذان العذابان أعظم المؤلمات، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، سببان العذاب المؤلم، وعادت الاستعاذة هنا الى الألم والعذاب وأسبابهما، وهذا من آكد أدعية الصلاة.(٣٤).

رابعاً: الاستعاذة بالله تعالى من شر الشيطان و شر النفس.

ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع في استعاذته الاستعاذة من شر الشيطان وشر النفس، فذكر مصدري الشر وهما الشيطان والنفس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أبابكر الصديق رضي الله عنه قال: يارسول الله مُرني بكلمات أقولهنَّ اذا أصبحتُ واذا أمسيت، قال: 'قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالَم الغيب والشهادة، ربَّ كُل شيء ومَليكهُ، أشهد أن لا اله الا أنت، أعوذبك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركهِ، وأن اقترفَ على نفسي سُوءا أو أجرَّهُ الى مسلم). (٣٥).

يقول ابن القيم: (فذكر مصدري الشر وهما النفس والشيطان، وذكر موردِيه ونهايته، وهما: عودُه على النفس أو على أخيه المسلم، فجمع الحديث مصادر الشر وموارده في أوجز لفظ وأخصره وأجمعه وأبينه).(٣٦)

خامساً: الاستعاذة باللّٰه تعالى من شر الشيطان وشر الانس.

ان اللّٰه تعالى جعل الاستعاذة به وبأسمائه وصفاته، من أعظمِ ما يرد كيد الشيطان وشره، بل وشر الانس وحسده، ولو تدبر الانسان سورتي الفلق والناس، لأدرك كثرة الشرور المِستعاذ باللّٰه تعالى منها. يقول ابن القيم: (وقد دخل في قوله تعالى: (من شر ما خلق) الاستعاذة من كل شر في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره، انسيا كان أو جنياً، أو هامة أو دابة، أو ريحا أو صاعقة، أو أي نوع كان من أنواع البلاء). (٣٧)

كذلك الاستعاذة برب الفلق، والفلق هو الصبح، ومن شر الغاسق اذا وقب وهو الليل اذا أقبل بظلمته، وقيل القمر، كما في حديث عائشة رضي اللّٰه عنها: أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم نظر الى القمر فقال: 'يا عائشة استعيذي باللّٰه من شر هذا، فان هذا هو الغاسق اذا وقب'. (٣٩).

ولا تعارض بين القولين، فان القمر هو آية الليل، يقول 'ابن القيم': ان النبي صلى اللّٰه عليه وسلم (أخبر عن القمر بأنه غاسق اذا وقب، وهذا خبر صدق، وهو أصدق الخبر، ولم ينف عن الليل اسم الغاسق اذا وقب، وتخصيص النبي صلى اللّٰه عليه وسلم له بالذكر لاينفي شمول الاسم لغيره). (٤٠).

ومنها: الاستعاذة باللّٰه تعالى من شر النفاثات في العقد، وهن السواحر اللاتي يعقدن الخيوط، وينفثن على كل عقدة، حتى ينعقد ما يردن من السحر. (٤١).

ومنها: شر الحاسد اذا حسد، وسواء كان هذا الحاسد من الانس أم من الجن.

وهذه السورة تضمنت الاستعاذة من كل شر في العالم، يقول ابن القيم: اشتملت هذه السورة (على الاستعاذة من كل شر في العالم، وتضمنت شرورا أربعة يُستعاذُمنها: شراً عاما وهو شر ما خلق، وشرُّ الغاسق اذا وقب، فهذان نوعان • ثم ذكر شر الساحر، وقلما يأتي السحر بدون نوع عبادة للشيطان، وتقرب اليه..... والنوع الثاني: من يُعينه الشيطان وان لم يستعن به، وهو الحاسد؛ لأنه نائبهُ وخليفتهُ؛ لأن كليهما عدو نعم اللّٰه تعالى، ومنغصُها على عباده). (٤٢)

وأما سورة الناس: فتضمنت أيضاً الاستعاذة بالرب والملك والاله، تبارك وتعالى، وكانت الاستعاذة فيها من الشر، و اذا كانت سورة الفلق جاء ت بذكر الشر الخارجي من الساحر والحاسد، الاستعاذة من كل الشرور، وهذا من رحمة اللّٰه تعالى بعباده.

وعن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال: كان النبي صلى اللّٰه عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول: 'ان أباكم كان يعوذبها اسماعيل واسحاق: أعوذ بكلمات اللّٰه التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عينٍ لامة. (٤٥)

سادساً:الا ستعاذة باللّٰه تعالى من شر مايعمل الانسان.

ومن ذلک ماروته أم المؤمنين عائشة رضي اللّٰه عنها، أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم كان يقول في دعائه: 'اللهم اني أعوذُ بک من شرِّ ما عملتُ ومن شرِّ ما لم أعملُ'(٤٦).

ومن ذلک: ما رواه بريدة عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال: 'من قال: اللهم أنت ربي لا اله الا أنت، خلقتني و انا عبدک و أنا على عهدکَ ووعدکَ ما استطعتُ، أعوذُبک من شر ما صنعتُ، ابوء لک بنعمتی علی و أبوءُ بذنبي، فاغفر لي انه لا يغفرُ الذنوبَ الا أنتَ، فمات من يومه أو ليلته دخل الجنة'.(٤٧)

سابعاً: الاستعاذة باللّٰه تعالى من سائر الأدواء والآلام والعاهات وسيء الأسقام.

ومن ذلک: عن عمرو بن أبي عمرو، أنه سمع أنسَ بن مالک رضي اللّٰه عنه يقول: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم لأبي طلحة: 'التمس لنا غُلاما من غلمانكم يخدمني' فخرج بي أبو طلحة يردفني وراء هُ، فكنت أخدم رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم كلما نزل، فكنت أسمعهُ يكثرُ أن يقولَ: 'اللهم اني أعوذُبک من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل، والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال.'(٤٨)

يقول 'ابن القيم' بعد أن ذكر الحديث: (فاستعاذ من ثمانية أشياء كل اثنين منها قرينان، فال الهم والحزن قرينان، وهما من آلام الروح ومعذباتها، والفرق بينهما أن الهم توقُّع الشر في المستقبل، والحزن التألم على حصول المكروه في الماضي أو فوات المحبوب، وكلاهما تألم وعذاب يَرِدُ على الروح، فان تَعَلَّق بالماضي سُمي حزنا، وان تعلق بالمستقبل سمي همًّا.

والعجز والكسل قرينان، وهما من أسباب الألم؛ لأنهما يستلزمان فوات المحبوب، فالعجز عدم القدرة، والكسلُ يستلزم عدم ارادته، فتتألم الروح لفواته بحسب تعلقها به، والتذاذها بادراكه لو حصل والجبن والبخل قرينان؛ لأنهما عدم النفع بالمال والبَدن، وهما من أسباب الألم؛ لأن الجبان تفوتُهُ محبوبات ومفرحات وملذوذات عظيمة لاتنال الا بالبذل والشجاعة، فالبخل يحول بينه وبينهما أيضا، فهذان الخلقان من أعظم أسباب الألم.

وضَلَع الدَّيْن وقهر الرجال قرينان، وهما مؤلمان للنفس معذبان لها، أحدهما قهر بحق وهو ضلَع الدَّيْن..... والثاني قهر بباطل وهو غلبةُ الرجال، وأيضا فضلع الدَّيْن قهرٌ بسبب من العبد في الغالب، وغلبة الرجال قهر بغير اختياره).(٤٩)

ومن ذلک: ما رواه أنس بن مالک رضي اللّٰه عنه أن النبي ﷺ كان يقول: 'اللهم اني أعوذبک

من البرص، والجنون، والجذام، وسيء الأسقام'(٥٠). يقول الخطابي: (يشبه أن يكون استعاذته (صلى الله عليه وسلم) من هذه الأسقام؛ لأنها عاهات تفسد الخِلقة، وتبقي الشَّيْن، وبعضها يؤثر في العقل، وليست كسائر الأمراض التي انما هي أعراض لاتدوم، كالحمى والصداع، وسائر الأمراض التي لا تجري مجرى العاهات، وانما هي كفارات وليست عقوبات.)(٥٢)

ومن ذلك مارواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي ﷺ: اللهم انى أعوذبك من الجوع، فانه بئس الضجيع، وأعوذُبك من الخيانة، فانها بئست البطانة.'(٥٣)

ومن ذلك مارواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقولُ: 'اللهم اني أعوذبك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذبك أن أظلمَ أو أُظلمَ'.(٥٤)

ثامناً: الاستعاذة بالله تعالى حال التنقل والنزول بالمكان.

ومن ذلك مارواه عبدالله بن سَرجِسَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان اذا سافر قال: 'اللهم اني أعوذُبك من وعثاءِ السفرِ..... (٥٥)

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن خولة بنت حكيم السلمية، رضي الله عنها، أنها سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: 'اذا نزل أحدكم منزلاً فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق، فانه لا يضره شيء حتى يرتحل منه.'(٥٦)

وهذا فيه رد على ما كان يفعله أهل الجاهلية، وبيان لهذه الأمة فيما يجب عليها، ويسوغ لها فعله

ومن ذلك مارواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: 'كان النبي ﷺ اذا دخلَ الخلاءَ قال: 'اللهم اني أعوذُبك من الخُبُث والخبائث'.(٥٧). والمقصود أن الاستعاذات التي علمنا اياها رسول الله ﷺ، كانت جامعة لدفع الشرور والآلام، بل دفع أسبابها، والطرق الموصلة اليها، ومن قبل ذلك فهي دعاء لنيل المطلوب، ودفع المكروه، ولهذا فان الاستعاذة نوع من أنواع العبادة.

المبحثُ الثالث: الاستعاذة نوع من أنواع العبادة.

شرع اللّه تبارك وتعالى أنواع العبادة لعباده ليتقربون بها اليه، وينالون بذلك سعادة الدارين، وهذه العبادات لها آثار و ثمرات، يدركها العاقل ناهيك عن العابد، ومن أنواع العبادة التي أمر الله تعالى بها عباده الاستعاذة، وبيان ذلك في النقاط الآتية باختصار:

١. أن اللّه تعالى أمر العباد أن يستعيذوا به لا بغيره، عند خوفهم وفزعهم، ونزغ الشيطان لهم، فقال

سبحانه وتعالى: وَ إِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (الأعراف ٢٠٠). وقال جل وعلا: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. (سورة النحل ٩٨).

٢. ومما يُستدل به على هذا. وهو أن الاستعاذة عبادة. كل ما صح عنه صلى اللّه عليه وسلم في هذا الباب، من صنوف الاستعاذات المختلفة، سواء في الأمور الدنيوية، أم الأخروية، وقد ضربت الأمثلة على تلك الاستعاذات في المبحث السابق.

٣. ومما يدل على ذلك أيضا، أن اللّه تبارك وتعالى ذكر من شرك الجاهلية ما كانوا يفعلونه من الاستعاذة بالجن، وطلبهم العون منهم، وما زادهم ذلك الا خوفاً ورهقا، واثما؛ لأنهم أشركوا في دعائهم ولجوئهم الى غير اللّه تعالى، قال عز من قائل: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقا (الجن :٦)

ومما جاء في تفسير هذه الآية وسبب نزولها، أن العرب في جاهليتها كانوا اذا نزلوا منزلاً، أو وادياً، أو مكاناً موحشاً، من البراري وغيرها، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا، أي خوفا وارهابا وذعرا، حتى بقوا أشد منهم مخافة، وأكثر تعوذا بهم، ومعنى رهقا قيل: اثما و قيل: خوفاً، وقيل: طغياناً.(٥٨)

وهذا الذي يقع بين الجان والانس هو من باب استمتاع بعضهم ببعض، كما قال تعالى:

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (الأنعام :١٢٨).

فاستمتاع الانسي بالجني: في قضاء حوائجه، وامتثال أو امره، واخباره بشيء من المغيات، ونحو ذلك، واستمتاع الجن بالانس: تعظيمه اياه، واستعانته به، واستغاثته، وخضوعه له.(٥٩) ويوضحه.

٤. أن الاستعاذة في أصلها دعاء ومسألة، فالمستعيذ يلتجئ ويعتصم باللّه تعالى، ويسأله أن يصرف عنه المكروه، وعلى هذا فهي عبادة يُتقرب بها الى اللّه تعالى. يقول عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ(٦٠): (وهي من العبادات التي أمر اللّه تعالى عباده بها، كما قال تعالى: وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (الأعراف: ٢٠٠)

وأمثال ذلك في القرآن كثير، كقوله: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (الفلق: ١). قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (الناس: ١)(٦١)

ويقول حمد الحمد: (والاستعاذة نوع من أنواع الدعاء؛ لأن المستعيذ بالله كالذي يقول: اللهم أعذني، وعلى ذلك فالاستعاذة بالله عبادة.....) (٦٢).

٥. اذا تقرر أن الاستعاذة في أصلها دعاء وطلب، لدفع ضر، وجلب نفع، فانَّ صرفها لغيره الله تعالى، فيه دعاء ولجوء لغيره، ومن دعاء غير الله تعالى، واستعاذ بغيره، يكون مشركاً. يقول ابن القيم: (من ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذبه وتقرب اليه بما يجب فقد عَبَدَهُ، وان لم يُسم ذلك عبادةً، بل يسميه استخد اما، وصدق هو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه.....) (٦٣)

ويقول الشيخ 'سليمان بن عبدالله' (٦٤): (ومن لاذ واستجار واعتصم بغير الله فقد خاب وخسر، وأشرك في قوله واعتقاده، قال سبحانه وتعالى: إِنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِـي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ (التوبة : ١١٦)

وقال تعالى:

قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون (الأعراف: ١٨٨).

وقال تعالى:

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِيْنَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِيْنَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِيْنَ هُم بِهِ مُشْرِكُون

(النحل : ٩٨. ١٠٠)

فبيّن سبحانه وتعالى في هذه الآيات، بل بالقرآن كله أن ليس دونه لخلقه ولي ولا نصير، وأنه الخالق للسبب والمسبب، أن النزع من الشيطان والاستعاذة منه لا تكون الا بالله السميع العليم.....).(٦٥).

ويقول :(الاستعاذة بغير الله اعراض عن توحيده ونفي لتفرده تعالى بملك الضر والنفع والعطاء والمنع والاستغاثة والقرب.....والمستعيذبغيره متخذ ولياً ونصيرامن دونه...فمن استعاذ بغير الله على هذاالوجه فهو بمن استعاذ به مشرك فيقوله وعقيدته اذ تعلق قلبه فيالمستعاذبه من المخلوقين برجائه والملاذ به، والالتجاء اليه، والتوكل عليه، هو الحامل والمقتضي له على الاستعاذةبه ،وذلك هو الشرك الاعتقادي.....)(٦٦)

ويقول عبدالرحمن بن حسن آل شيخ:(وهي من العبادات التي أمر الله تعالى عباده بها....فما كان عبادة لله فصرفه لغيرالله شرك، فمن صرف شيئامن هذه العبادات لغير الله فقد جعله لله شريكافي عبادته،ونازع الرب في الهية.....).(٦٧).

ومما يدل على أن الاستعاذة بالمخلوق شرك اعتقادي(جعل المستعيذ نصيامن ماله مأكولا كان أو غيره لمن استعاذبه من الجن لائذا وعائذاليرفع عنه أو غيره ماحل به من المس واللمم، أويدفع مايحذره من سائر الألم قائلا أعوذ وألوذ بفلان وفلان ومن ساد،انس وجان،من شر كذاو كذا، ثم ينحر النحيرة لسكان الأرض من الجيران ليرفعواعنه أويدفعواعنه ماحل به وكان،ويدس ما نحره لهم في التراب ليكون لهم خالصاوبهم سائغا،وبعضهم يقول أعوذ بأبي الجان وشهاب الشيطان من العين الشياطين، ولفظ الاستعاذة بالمخلوق شرك قولي ناشئ عن الاعتقادي).(٦٨)

والمقصود أن الاستعاذة بغير الله تعالى شرك ؛أن المستعيذ يعتقد قوة ومقدرة من استعاذ به لتحصيل طلبه،أو دفع ما يعتقد ضرره.

المبحث الرابع:المستعاذُ به.

بعد أن تقرر أن الاستعاذة نوع من أنواع العبادة، فانها تكون الا بالله تعالى، أو باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته، جل وعلا، وهذا ما دلت عليه النصوص الشرعية، ومن النصوص التي بيّنت ذلك الآتي.

أولا: الاستعاذة بالله تعالى، ومن ذلك قوله جل وعلا: وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ط قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً ط قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِيْنَ (سورة البقرة :٦٧) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِيْن (سورة المؤمنون: ٩٧)

وعن عقبة بن عامر بن عباس الجهني رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال له: 'ألا أخبرك بأفضل ما تعوذبه المتعوذون؟ قلت: بلى، فقال رسول الله ﷺ: 'قل أعوذ برب الفلق' و 'قل أعوذ برب الناس' هاتين السورتين'. (٦٩)

ثانياً: الاستعاذة باسم من أسماء الله تعالى.

ومن ذلك قوله تعالى: قَالَتْ إِنِّيْ أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّا (سورة مريم: ١٨)

ثالثاً: الاستعاذة بصفة من صفاته جل جلاله.

ومن ذلك قوله تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ [1] مَلِكِ النَّاسِ [2] إِلَـهِ النَّاسِ (سورة الناس: ١-٣)

يقول ابن القيم: (والمقصود الاستعاذة بمجموع هذه الصفات حتى كأنها صفة واحدة، وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب، وأخرَ الاهلية لخصوصها؛ لأنه سبحانه انما هو اله من عبده ووحده، واتخذه دون غيره الهاً، فمن لم يعبده ويوحده فليس بالهه، وان كان في الحقيقة لا اله له سواه، ولكن ترك الهه الحق واتخذالهاً غيره، ووسط صفة الملك بين الربوبية والالهية؛ لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره،

فهو المطاع اذا أمر، وملكه لهم تابع لخلقه اياهم، فملكه من كمال ربوبيته، وكونه الههم الحق من كمال ملكه، فربوبيته تستلزمُ ملكه وتقتضيه، وملكهُ يستلزم الهيته ويقتضيها، فهوالربُّ الحق، الملك الحق، الا له الحق، خلقهم بربوبيته، وقهرهم بملكه، استعبدهم بالهيته، فتأمل هذه الجلالة وهذه العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام وأحسن سياق:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَٰهِ النَّاسِ (سورة الناس: ١-٣). وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الايمان، وتضمنت معاني أسمائه الحسنى). (٧٠).

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: فقدتُ رسول الله ﷺ ليلةً من الفراش فالتمستهُ فوقعت يدي على بطن قدميه

وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول 'اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبما فاتك من عقوبتك، وأعوذبك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك'.(٧١)

ومن ذلك الاستعاذة بصفة العزة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقول: 'اللهم لكَ أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، واليك أنبتُ، وبك خاصمت، اللهم اني أعوذُ بعزتك، لا اله الا أن تُضلني أنت الحي الذي لا يموتُ، والجنُّ والانسُ يموتونَ' (٧٢).

ومن ذلك ماكان يقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه كما في الحديث الذي ترويه أم المؤمنين عائشة الصادقة بنت الصديق، رضي الله عنها وعن أبيها، وفيه: 'اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُبِكَ مِنْكَ.....'(٧٣).

يقول ابن القيم: (فاستعاذ بصفة الرضا من صفة الغضب، وبفعل العافية من فعل العقوبة، واستعاذ به منه باعتبارين. وكأن في استعاذته منه جمعاً لما فصله في الجملتين قبله،

فان الاستعاذة به منه ترجع الى معنى الكلام قبلها، مع تضمنها فائدة شريفة، وهي كمال التوحيد، وأن الذى يستعيذ به العائذ ويهرب منه انما هو فعل الله ومشيئته وقدره، فهووحده المنفرد بالحكم، فاذا أراد بعبده سوء ألم يعذه منه الا هو، فهو الذي يريد به ما يسوؤه، وهو الذي يريد دفعه عنه، فصار سبحانه مستعاذاً به منه باعتبار الارادتين: وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (الأنعام: ١٧). وهو الذي يَمسُّ بالضر، وهو الذي يكشفه، لا اله الا هو، فالمهرب منه اليه، والفرار منه اليه، واللجأُ منه اليه، كما أن الاستعاذة منه، فانه لارب وغيره ولا مدبر للعبد سواه، فهو الذي يحركه ويقلبه ويصرفه كيف يشاءُ.(٧٤)

ومن ذلک الاستعاذة بوجهه جل وعلا، قال عمرو سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقولُ: لما نزل على رسول اللّٰهِ ﷺ: قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ (الأنعام: ٦٥). قال: 'أعوذُ بوجهک' أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُم (الأنعام: ٦٥). قال: 'أعوذ بوجهک' فلما نزلتْ: 'أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ط انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُون (الأنعام: ٦٥). قال: 'هاتانِ أهونُ، أو أيسرُ'. (٧٥)

ومن ذلک الاستعاذة بكلمات الله تعالى التامات، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

قال: سمعت خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها، تقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: 'من نزلَ منزلاً ثم قال: أعوذُبكلمات اللّٰه التاماتِ من شر ما خلق لم يضرهُ شيءٌ حتى يرتحلَ من منزله ذلک. (٧٦)

ولهذا فان علماء أهل السنة والجماعة احتجوا بهذا على أن كلام الله تعالى غير مخلوق (٧٧)، يقول الخطابي: (وكان أحمد بن حنبل يستدل بقوله 'بكلمات الله التامة'، على أن القرآن غير مخلوق، ويقول: رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم لايستعيذ بمخلوق، وما من كلام مخلوق الا وفيه نقص، والموصوف منه بالتمام هو غير المخلوق، وهو كلام الله سبحانه). (٧٨)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية (٧٩). بعد أن بيّن أن اليمين لا تنعقد بالحلف بالمخلوقات: (وكذلک الاستعاذة بالمخلوقات، بل انما يستعاذ بالخالق تعالى وأسمائه وصفاته، ولهذا احتج السلف. كأحمد وغيره. على أن كلام الله غير مخلوق فيما احتجوا به بقول النبي ﷺ 'أعوذ بكلمات الله التامات 'قالوا فقد استعاذ بها، ولا يستعاذ بمخلوق. وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: 'لابأس بالرقى مالم تكن شركا'. فنهى عن الرقي التي فيها شرک، كالتي فيها استعاذة بالجن كما قال تعالى: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقا (سورة الجن: ٦). ولهذا نهى العلماء عن التعازيم، والأقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المصروع وغيره، التي تتضمن الشرک، بل نهوا عن كل مالا يعرف معناه من ذلک خشية أن يكون فيه شرک، بخلاف ما كان من الرقى المشروعة، فانه جائز، فاذا لايجوز أن يقسم لاقسما مطلقا ولاقسما على غيره الابالله عزوجل، ولا يستعيذ الا بالله عزوجل). (٨٠)

ومما يضاف لهذاأن بعض العلماء بوب في بعض كتبه بما يدل على أن الاستعاذة عبادة، وأنها لا تكون الا بأسماء الله تعالى وصفاته. (٨١).

والمقصود أن الله تعالى هو الذي يُستعاذبه، وتكون الاستعاذة أيضاً بأسمائه وصفاته، كما جاء ت بذلک النصوص الشرعية. ولا يستعاذ بأحد من خلقه؛ لأن الاستعاذة عبادة والعبادة لا تكون الا الله تعالى.

ولهذا فان من لجأ أو استنصر بغيره تعالى، كما يفعله أهل الضلال عند القبور ويظنون أن أصحابها ينفعون أو يضرون، فانه قد أشرک به جل شأنه. (٨٢).

وكذلك من تعلق بأمر يعتقد فيه النفع والضر من دون الله تعالى، فيجب عليه طرحه حتى لا يحبط عمله؛ ومن ذلك ما يفعله بعض الناس من تعلق التمائم التي يتخذونها بمشابة التعويذات، ويزعمون أنها تدفع العين والحسد عنهم. فعن عقبة بن عامر الجهني، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: 'من علق تميمة فقد أشرك'.(٨٣).

فالتمائم شرك ان كانت من غير القرآن العظيم، يقول المعصومي: (لا يخفى أن التمائم وتعلقها قد ورد فيه المنع والنهي عن النبي ﷺ، كما في الأحاديث الصحيحة، وبعضهم عدها شركاً، وخصوصا اذا كان بغير القرآن، أو بالألفاظ العجمية وغيرها، فتدبر).(٨٥)

ومن الأحاديث الدالة على أن المسلم لا يلجأ الى أفعال أهل الشرك، التي يتخذونها ويزعمون أنها تقيهم العين والحسد، ويتخذونها معاذا لهم ولأنعامهم، ما رواه أبو بشير الأنصاري رضي الله عنه، أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولا: 'أن لا يَبْقَيَنَّ في رقبة بعيرٍ قلادة من وترٍ (٨٦) أو قلادة الا قطعت'.(٨٧).

ويلحق بذلك ما يفعله بعض الناس في هذه الآونة من تعليق بعض الأشياء في سياراتهم، وفي بيوتهم، وفي أيدي أولادهم، كالخيوط، أو بعض الطلاسم، يضعونها كتعويذات يتقون بها المكروه، كما يزعمون.

وأما ان كانت التمائم من القرآن العظيم، فقد منع منها كثير من السلف وكرهوها، (٨٨) و اذا كان الأمر كذلك في تلك العصور الخيرة، فانه في هذه الأزمنة هوالمتعين، لضعف الايمان، وزيادة التعلق بالأسباب، واسناد الأمور اليها، فوجب سد ذريعة الشرك، هذا مع الأسباب الأخرى التي ذكرها أهل العلم في منع تعلق التمائم ولو كانت من القرآن الكريم. ومما يدل على ترك ذلك ومنعه، النصوص الواردة بألفاظها العامة التي تمنع من ذلك وتحذر منه، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من تعلق تميمة، فلاأتم الله له، ومن تعلق وَدعة، فلا ودع الله له.)(٨٩)

وعن عبدالله بن عكيم مرفوعا: (من تعلق شيئا، وكل اليه) (٩٠). وهذا يدل على أن الانسان اذا لجأ الى غير الله تعالى، وكل اليه، يقول شيخ الاسلام (٩١): (ان اعتماده على المخلوق وتوكله عليه يوجب الضرر من جهته؛ فانه من تلك الجهة، وهو أيضا معلوم بالاعتبار والاستقراء، ما علق العبد رجاءه وتوكله بغيره الله الاخاب من تلك الجهة، ولااستنصر بغير الله الاخذل، وقد قال الله تعالى: وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً [81] كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (سورة مريم: ٨٢. ٨١)

ويقول الشيخ العثيمين: (أن من تعلق تميمة، فان الله لايتم له، فيكون موكولاً الى هذه التميمة، ومن وكل الى مخلوق، فقد خذل.)(٩٢)